جُهُودُ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ الْإِلْحَادِ

د. مُطْلَقُ الْجَاسِرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم علمنا ما ينفعنا وارفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا واغفر لنا يا رب العالمين.

أمَّا بعد ...

۞ فإنَّ العلماء ورثة الأنبياء كما صحَّ ذلك عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثُوا العِلمَ فمن أخذَ بهِ أخذ بحظٍّ وافرٍ**»، **ودراسة الأنبياء** هي السير على منهاجهم في الدعوة إلى ما دعوا إليهِ، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[يوسف:١٠٨].

☆ **كما أنَّ من وظيفة الأنبياء كذلك**: الزودُ عن دِّين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والرد والتوضيح لِمَنْ انحرف عن هذا الدِّين، وقد سار على خطى الأنبياء مَنْ وفق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من العلماء؛ الصحابة – رضي الله عنهم– والتابعون، ثم تابعوهم بإحسان.

☆ **ومن مَنَّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على هذه الأُمة**: أنَّ جعل فيها هؤلاء الأنبياء الذين كلما جدد أعداء الإسلام انحرافاتٍ جديدة، جدد لها هؤلاء العلماء ردودًا جديدةً كذلك، وتصدوا لها؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد تعهد وتكفل بحفظ هذا الدِّين، وحفظ الكتاب الكريم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر:٩].

يقول الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- في مقدمة كتابهِ العظيم [الرد على الزنادقة والجهمية]:

(الحمد لله اَلَّذِي جعل في كل زمانٍ فترةً من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون مَنْ ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على النَّاس! وما أقبح أثر النَّاس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتابِ، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلَّمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال النَّاس بما يشبّهون عليهم -فنعوذ بالله من فتنة الضالين). انتهى كلامهُ -رحمه الله-.

وفي عصرنا هذا هذا العصر الأخير اَلَّذِي نستطيع أنْ نجعل كل العصور السابقة في كفة، وهذا العصر الأخير في كفة، من جهة كثرة وانتشار الشبهات والانحرافات وأنواع الطعن في الدِّين بما لا يخفى على أحد.

۞ **قديمًا من الفروق بين هذا العصر اَلَّذِي نعيشهُ والعصر القديم**: أنَّ العصر القديم لم تكن هناك قنواتٌ تبث الفتن، وتبث الانحرافات عند النَّاس، **كان الإلحاد والزندقة والطعن في الدِّين مقتصرًا على:**

١- إمَّا في كتاب يُقرأ.

٢- أو أنْ يُجالَس أحد الزنادقة.

لذلك لم يكن هناك شريحةٌ واسعة تتأثر بالشبهات، كان عامة النَّاس بعيدين عن التأثر بالشبهات، لا سيما كبار السن أو الصغار أو النساء أو غير المتعلمين، أمَّا اليوم فالأمر اختلف تمامًا لم يعد الطعن في الدِّين وإثارة الشبهات عليهِ مقتصرةً على بطون الكتب أو مجالسة الزنادقة، بل أصبحت تُبث في مختلفِ القنوات، سواءٌ في القنوات الإعلامية؛ في التلفاز، وفي وسائل التواصل الاجتماعي.

بل أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي تموج بفتن الشهوات والشبهات -كما لا يخفى عليكم-، بل وصل الحال إلى اختراق حتى قنوات الأطفال، الآن الشركات العالمية اَلَّتِي تنتج الأفلام المخصصة للأطفال أصبحت ضمن هذا الجيش العرمرم اَلَّذِي يحاول أنْ يهدم القيم والأخلاق، ولم يعد الأمر خافيًا، كثير من شركات الأطفال الصغار تنتج أفلام كرتون وأفلام موجهة للأطفال يتعمدون ويتقصدون بث الشذوذ والأفكار المنحرفة حتى في الأطفال.

وهذا الأمر -يا إخوان- ليس معتادًا، قديمًا ولا أقول قديمًا جدًّا، بل قديمًا من عشرين سنة تقريبًا ليس أكثر كان الأطفال بمنأى عن هذه الانحرافات إلى حدٍ ما، اليوم لا، اليوم الجميع صار في مرمى الشبهات، الجميع كل مَنْ يملك هاتفًا، أو يشاهد قناةً إعلامية، أو عنده حساب تواصل اجتماعي فهو مستهدف، إنْ لم يكن قاصدًا للدخول في هذه الحسابات اَلَّتِي تبث الشبهات تأتيه الشبهات إلى عندهِ، بل حتى أصبحت كثير من الشبهات تتداول في الواتساب، أو تتداول في بعض المسلسلات التلفزيونية إلى آخرهِ.

وهذا الأمر -إخواني الكرام- بفضل الله عَزَّوَجَلَّ لن يمحو بهِ الدِّين بفضل الله، نحن على يقين أنَّ الدِّين دين الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ باقٍ ما بقي الليل والنهار، وأنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد حفظ دينهُ وكتابهُ وسُنَّة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولكن قد يتأثر كثيرٌ من النَّاس وهم الذين ينحرفون عن الدِّين.

أهمية دور العلماء في التصدي للأفكار المنحرفة والإلحاد

◆ **وهنا يأتي دور العلماء والدعاة والمصلحون والمربون**، هنا يأتي دورهم، دور إزالة هذا الغبش وهذه الأفكار المنحرفة، وهذه الانحرافات الفكرية عن أذهانِ وعقولِ النَّاس صغارًا وكبارًا.

◆ **وهنا تأتي أهمية كذلك اطلاع الدعاة وطلبة العلم على واقع الأفكار المنحرفة**، واقع الأفكار المعاصرة، لن يستطيع طالب العلم أو العالم حتى أو الداعية أو المصلح أو المعلم في المدرسة أو حتى الأب والأم لا يستطيع أنْ يتصدَى للأفكار وهو لا يعرف هذه الأفكار، لا يعرف ما هي أصلًا وكيف يناقشها أو يعالجها.

لذلك هنا يأتي دور العلماء والمصلحون، وعنوان هذه الدقائق المعدودة هي أهمية دور العلماء في التصدي للأفكار المنحرفة والإلحاد، وسآخذ نموذجًا من علماء هذا العصر في عصرين مختلفين تقريبًا وهم.

١- الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-.

٢- والشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-.

٣- والشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-.

هؤلاء العلماء طبعًا هم أشهر من نارٍ على علم، وبعض النَّاس يظن أنَّ ليس لهم دورًا إلَّا في الفتوى الفقهية فقط، وهذا غير صحيح، بل كان لهم أعظم دور في التصدي للإلحاد المعاصر، وهنا قبل أنْ أتناول بشكلٍ مختصر ولن أستطيع أنْ أحيط بجميع جهودهم، ولكن هي إضاءات على بعض جهود هؤلاء الأعلام والعلماء، قبل أنْ ندخل في ذلك يجب أنْ نحرر معنًى مهم وهو معنى الإلحاد.

ما معنى الإلحاد؟

۞ الإلحاد -إخواني الكرام- لهُ معنًى لغوي ولهُ معنى اصطلاحي:

➢ **المعنى اللغوي للإلحاد**: هو الميل عن الطريق، ومنهُ: اللحد في القبر، وسمي اللحدُ في القبرِ بهذا الاسم؛ لأنهُ مائلٌ عن القبر، اللحد -كما لا يخفى على شريف علمكم- هو الحفرة اَلَّتِي تكون في جدار القبر لا في قاعهِ؛ لأن القبور نوعان:

❁ **النوع الأوَل**: شق وهو اَلَّذِي يكون في أسفل القبر.

❁ **النوع الثاني**: اللحد، واللحد هو أنْ يُحفَر القبرُ ثم يحفر في جدارهِ مائلًا عنهُ بمقدار الميت ويوضع فيهِ، وهذا هو اللحد.

➢ **واللحدُ والإلحاد في اللغة العربية**: بمعنى الانحراف، ومنهُ قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابهِ الكريم: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[الأعراف:١٨٠]، أي: انحرفوا ومالوا عن الحقّ فيها.

➢ **أما المعنى العرفي والاصطلاحي للإلحاد**: فهو إنكارُ وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو إنكارُ الأديان عمومًا، إنكار الدِّين والتشكيك في وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والتشكيك في الألوهية والربوبية، ويطلق الإلحاد على مجموعة من الأفكار والدقيق أنْ يُفصَل في الأمر، وأنْ يُقال في هذه الأفكار أنها أفكار لادينية.

وذلك باختصار: أنَّ اللادينية وهي الأفكار الَّتِي تنافي الدِّين الإسلامي خصوصًا وحتى بقية الأديان الأخرى تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

❁ **القسم الأوَل**: هناك إلحاد.

❁ **القسم الثاني**: هناك ربوبية.

❁ **القسم الثالث**: وهناك اللاأدرية.

- **فالإلحاد** هو نفي وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والتشكيك فيهِ، والزعم والادعاء بأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غير موجود، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

- **وهناك الربوبية**، والربوبية هي: أنْ يُزعَم عدم وجود الأديان مع الإقرار بوجود الخالق، فيقولون: أنَّ هناك خالق للكون بحيث لا يستطيعون أنْ يردوا الأدلة العقلية على خلق الكون، لكنهم يقولون: هو خالقٌ وليس برب، وهذا الَّذِي كان يدين بهِ فلاسفة الإغريق قديمًا سقراط وأفلاطون وأرسطو كانوا ربوبين، كانوا يؤمنون بخالق لكنهم لا يؤمنون بدين.

- **وهناك -وهذا المنتشر الآن كثيرًا عند الشباب- اللاأدرية** Agnostic ، اللاأدرية أي التشكيك في كل شيء، أنهُ لا أجزم بوجود الله ولا أجزم بعدم وجودهِ، لا أجزم أنَّ الدِّين صحيح ولا أجزم أنهُ خطأ، لا يجزم بشيء، وهذا سواءٌ كان الإلحاد بمعنى نفي وجود الله، أو الربوبية أو اللاأدرية كلهم يشتركون في مسمًى واحد هي **اللادينية**، وهذا هو المسمى الدقيق، واللادينية تشترك مع أعداء الإسلام من النصارى واليهود في مسمى أكبر وهو الكفر، فكلهم كفار.

❁ فالكفر إذًا أنواع وملل شتى وأنواع شتى: منها اليهود، والنصارى والملحدون والربوبيون واللاأدريون، أو نستطيع أنْ نقسمهم قسمين من الكفار:

❁ **القسم الأوَل**: هم كفار لادينيون، أي لا يؤمنون لا بالإسلام ولا بغيره.

❁ **القسم الثاني**: هناك كفار لهم أديان يؤمنون بها محرفة وباطلة.

والمقصود بكلامنا هنا: هو اللادينية عمومًا؛ لأنهُ أصبح اليوم يطلق الإلحاد ويُقصَد بهِ اللادينية، فكما قلت العلماء عمومًا في كل عصرٍ ومصر بذلوا جهودًا كبيرة جدًّا في التصدي لذلك؛ لأنهُ إذا لم يتصدَّ العلماء لهذه الانحرافات مَنْ سيتصدى؟! **وسنستعرض بشكلٍ مختصر كما قلت إضاءات جهود ثلاثة نماذج من العلماء:**

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

❁ أولهم: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى-:

◆ مولده:

الشيخ عبد الرحمن السعدي ولد في سنة ١٣٠٧ هجريًا، وهذا في آخر القرن التاسع عشر الميلادي، أي ألف وثمانمائة وتسعينات أي كسور.

◆ نشأته:

الشيخ -كما تعلمون- نجديٌ من أهل نجد، ونشأ وتوفي سنة ١٣٧٦ هجري وذلك في الخمسينات ميلادي تقريبًا، أي عاش الشيخ -رحمه الله- سبعين سنة تقريبًا آخر القرن التاسع عشر الميلادي ونصف القرن العشرين، وآخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين هو قرن انتشار المادية والفكر الإلحادي بقوة، **وذلك من خلال**: الشيوعية والاشتراكية.

فبعد سقوط الدولة القيصرية الروسية سنة ١٩١٧ في الثورة البلشفية الشهيرة، وانتصار الفكر الشيوعي في ١٩١٧ على روسيا انتشر هذا الفكر في كثير من دول العالم، ووصل إلى الصين وروسيا وإيطاليا وكثير من الدول، حتى ما انتصف القرن أي في الثلاثينات والأربعينات إلَّا والفكر الشيوعي قد اكتسح وصار قوة ضاربة في العالم.

هذا الفكر الشيوعي هو فكرٌ يقوم على الإلحاد، فكر إلحادي صرف لا يؤمن بدِّين، وطبعًا الجزور الفكرية لهذا الفكر يعود إلى فكر ماركس وكذلك ليلين ونحوهم من هؤلاء الرؤوس في بيان الشيوعية والاشتراكية والإلحاد.

هذا المد الشيوعي وصل إلى العالم العربي والإسلامي، وصل إلى مصر، وإلى العراق، وإلى الشام، بل وصل حتى إلى بلداننا هنا، ولكن وصل تحت مسميات أخرى، من هذه المسميات الناصرية الفكر الناصري، حيث إنَّ في ثورة الضباط الأحرار في مصر في الخمسينات كانوا يسمون أنفسهم الحزب العربي الاشتراكي، فكانوا يتبنون مبادئ الاشتراكية، ثم ظهر بعد ذلك مسمى **"القومية العربية"**.

هذه الأفكار وصلتنا وتأثر بها كثير من أبناء العالم العربي والعالم الإسلامي، لم يقف العلماء مكتوفي الأيدي إيذاء هذه الأفكار، بل تصدوا لها، مثلًا: الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- أَلَف ست كتب وست مؤلفات في الرد على الإلحاد ستة، هو الشيخ مشهور عنهُ التفسير [تفسير السعدي] -رحمه الله-، ومشهور عنهُ كتب في القرآن، ومشهور عنهُ كتب كثيرة في الحديث [بهجة قلوب الأبرار].

۞ لكن كثير من النَّاس لا يعلم أنَّ لهُ مؤلفات في الرد على الإلحاد:

❁ **الرسالة الأوَلى**: منها على سبيل المثال هذا الكتاب وهو كتاب اسمهُ [البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوده ووجوه كماله]، يدلل بهذا الكتاب على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويرد على الملاحدة الذين ينفون وجود الله بالأدلة العقلية، وبيَّن في أول الكتاب أنهم إذا ناقشناهم بالقرآن والسُّنَّة سيقولون نحن لا نؤمن بالقرآن والسُّنَّة، فيجب أنْ نناقشهم بالأدلة العقلية؛ لأنهم لا يؤمنون إلا بهذا النوع من الأدلة، هذه رسالة.

❁ **الرسالة الثانية**: لهُ رسالة اسمها [أصول الدين والرد على الملحدين] بهذا الاسم، وهي غير الرسالة الأوَلى، ورد فيها على كثير من الأفكار الإلحادية الَّتِي كانت منتشرة في عصرهِ.

❁ **الرسالة الثالثة**: لهُ رسالة ثالثة كذلك ومؤلفٌ ثالث اسمهُ [الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين]، وهي رسالة كبيرة غالبها ملخصٌ من كتاب [نقد تأسيس التقديس] لشيخ الإسلام الشهير باسم [بيان تلبيس الجهمية]، وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- تراثهُ هو اَلَّذِي لا يمكن أنْ يُستغنى عنهُ في الرد على الملاحدة في هذا العصر حتى في عصرنا هذا.

فلا شك أنَّ كلام الشيخ -رحمه الله- شيخ الإسلام لا يُستغنَى عنهُ، سواء في [درء تعارض العقل والنقل]، أو في [بيان تلبيس الجهمية]، أو في [مناهج السُّنَّة] وفي غيرها، في الرد حتى على الأفكار اَلَّتِي طرأت ونشأت في هذا العصر الحديث.

فقام الشيخ السعدي بأخذ الأدلة كثير من قواعد الشيخ اَلَّتِي نثرها في كتابهِ، واستثمرها للرد على الأفكار المنحرفة في عصرهِ، وهذا هو دور العلماء.

➢ **دور العالم -يا إخوان-:** ليس هو ترديد فقط الكلام القديم لا، دور العالم هو بناء جسرٍ بين الواقع المعاصر وبين القرآن والسُّنَّة وكلام السلف، هذا هو دور العالم، أمَّا النقل فهو موجود في الكتب، فالمفروض أنْ يأتي العلماء يدرسوا الواقع ويعرفوا احتياجات الواقع، وما هي الأفكار المنحرفة، ويوفقوا بين ما جاء في القرآن والسُّنَّة؛ لأنهُ بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يوجد فتنة ولا انحراف ولا إلحاد إلا وفي كتاب الله إجابةٌ عنهُ، لكن بعضها فيها من الدقة ما يحتاج إلى مَنْ يستنبطهُ من القرآن والسُّنَّة، ويقدمهُ في الرد على هؤلاء الملحدين.

وهذا ما قام بهِ الشيخ -رحمه الله- في هذا الكتاب [الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين]، استقرأ كتب شيخ الإسلام واستخرج منها قواعد للرد على الإلحاد اَلَّذِي كان منتشرًا في عصرهِ.

لاحظ كم الرسائل المخصصة فقط في هذه القضية.

❁ **الرسالة الرابعة**: لهُ كتاب اسمهُ [تنزيه الدِّين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله]، القصيمي هذا هو رجل اسمهُ عبد الله بن علي القصيمي، كان قد نشأ في نجد، وطلب العلم وارتحل بعد دراستهِ في نجد ارتحل إلى مصر ودرس في الأزهر، وكان يدافع عن العقيدة السلفية، ويرد على مَنْ يحرِف هذه العقيدة، ولهُ كتب في بداية أمرهِ في الرد على الانحرافات والبدع، حتى أنهُ أثار إعجاب كثيرٍ من العلماء، وكان يرد حتى على شيخ الأزهار ويرد على كثير من الرؤوس والأسماء الكبيرة في ذلك الوقت.

ثم -سبحان الله- انتكس هذا الرجل وبدأ يؤلف كتب في الطعن في الدِّين، حتى ألف كتابًا سماه [هذه هي الأغلال] أودع في هذا الكتاب طعنًا صريحًا في الدِّين، وصرح فيهِ بإلحادهِ والعياذ بالله، وصرح فيهِ بالتشكيك في كثير من الأحكام الموجودة في الدِّين، فانبرى لهُ مجموعة من العلماء، من علماء نجد والقصيم وغيره من العالم الإسلام في الرد عليهِ، منهم الشيخ السعدي -رحمه الله-.

فألف هذه الرسالة سماها [تنزيه الدِّين وحملته ورجالهِ مما افتراه القصيمي في أغلالهُ]، أخذ رسالة القصيمي طبعًا مطبوعة هذه الرسالة رسالة [تنزيه الدين] للشيخ السعدي، وفيها عدة أشياء منها:

أوَلًا: فهرس قرأ، وهذا أيضًا مما يفيدنا أننا لا نستطيع أنْ نرد على الأفكار المنحرفة ونحن لم نطلِع عليها، هناك فهرس صنعهُ الشيخ السعدي لكتاب القصيمي هذا هو اَلَّذِي فعلهُ فهرس لأبرز الأفكار الموجودة في الكتاب، وهذا الفهرس طُبِع ضمن كتاب [تنزيه الدين]، هذا الفهرس فيهِ تفصيل، فهو قرأ كتاب القصيمي قراءةً مفصلةً دقيقة، ووضع أبرز الأفكار اَلَّتِي تحتاج إلى رد.

ثم ألف هذا الكتاب في الرد على الأفكار اَلَّتِي ذكرها القصيمي في كتابهِ.

❁ **الرسالة الخامسة للشيخ السعدي**، وكلها -يا إخوان- فقط في الرد على الإلحاد، عندهُ رسالة اسمها [انتصار الحق] هكذا اسمها، وهي رسالة لطيفة وأسلوبها فريد، فقد جعلها على شكل محاورة بين رجلين، وهذا من إبداعهِ -رحمه الله-، فأتى برجل في الرسالة هذه يتبنى الأفكار التغريبية والإلحادية، ورجل يرد عليهِ، فساق هذه الرسالة على شكل حوار.

هذا يقول: فإنَّ والله الغرب الآن تقدَّم علينا، إذًا الحق معهم، قال: فيقول لهُ الثاني -أظن سماه عبد الله أو كذا نسيت الآن اسمه- لكن الحوار هو اَلَّذِي ألفهُ الشيخ، فيرد عليهِ، فأسلوبها جميل جدًّا اسمها [انتصار الحق].

❁ **الرسالة السادسة**: له كذلك رسالة سادسة اسمها [فتنة الدجال]، وهذه طبعًا لها قصة طويلة، لكن أورد في هذه الرسالة كلامًا عن الإلحاد كثيرًا.

★ **طبعًا هذا غير هذه الرسائل المفردة في الرد على الإلحاد، هذا غير اَلَّذِي صنَّفهُ من المؤلفات الكبيرة، وضمنهُ شيئًا من الرد على الإلحاد، مثل:**

➢ **كتابه في التفسير**، وكتاب [تيسير اللطيف المنان في تفسير كلام الرحمن] ذكَر كلامًا كثيرًا في الرد على الملاحدة والأفكار المعاصرة.

➢ **كذلك لهُ كتاب اسمهُ** [الدرر البهية] ذكَر فيهِ تخبط الملاحدة في تحكيم عقولهم.

➢ **كذلك لهُ مقالة** نشرت في مجلة المنار للسيد محمد رشيد رضا ينتقد فيها [تفسير الجواهر]، [تفسير الجواهر] هذا تفسير ألفهُ أحد الأزاهرة اسمهُ الجواهري طنطاوي أو طنطاوي جوهري، ألف تفسيرًا على النمط الغربي، أي أتى إلى الآيات وحاول أنْ يوفق ويلوي أعناق بعض النصوص لتوافق المخترعات المعاصرة، فصار فيهِ تكلف، وحتى تفسيرهُ وضع فيهِ رسمات ووضع فيهِ بعض الأشياء، وصار في تأويل لكثير من الآيات حتى يغصبها أنْ تتوافق مع المخترعات العصرية.

فكتب الشيخ السعدي -رحمه الله- نقدًا لهذا التفسير، على ماذا يدل هذا؟ يدلك على سعة اطلاع الشيخ عبد الرحمن، رغم أنَّ الشيخ لم يسافر، لم يخرج عن نجد والجزيرة العربية إلَّا مرة واحدة في علاجهِ في بيروت فقط، كان يذهب للحج طبعًا لكن لم يخرج خارج حدود المملكة إلا قبيل وفاته -رحمه الله- لما ذهب يعالج إلى بيروت.

ومع ذلك كان يرى المستجدات الفكرية المعاصرة وقرأ هذا التفسير [تفسير الجواهر]، وكتب نقدًا أرسلهُ إلى مجلة المنار ونشرهُ هناك، ونشرهُ رشيد رضا في مجلة المنار موجود في أرشيف المجلة إلى الآن تستطيع أنْ تستخرجهُ من المجلة، هذا -يا إخوان- الشيخ عبد الرحمن السعدي.

الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-:

أمَّا إذا أتينا إلى نماذج أخرى الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- غنيٌ عن التعريف في هذا العصر في جميع المجالات، معروف الشيخ -رحمه الله- في مجال العلم والإفتاء، ومعروف كذلك في مجال الإحسان ومساعدة النَّاس، معروف كذلك الشيخ في مجال نصرة قضايا الأُمة.

من المجالات اَلَّتِي أيضًا تفرَد بها الشيخ وقد يجهلها كثير من النَّاس: الرد على الإلحاد، الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-.

☆ **من ذلك**: أنهُ قرر لكتابٍ وراجع كتابًا وقرر لكتابٍ يرد فيهِ مؤلفهُ على القصيمي اَلَّذِي قلناه قبل قليل، وهذا الكتاب هو طبعًا القصيمي كما قلت قبل قليل ألف كتابًا اسمه [هذه هي الأغلال]، فقام الشيخ -رحمه الله- وقرر أي راجع وأيد كتابًا اسمهُ [تشخيص أخطاء كتاب صاحب الأغلال وبيان ما دلَّت عليهِ من الإلحاد والمذاهب الإباحية]، طُبع هذا الكتاب سنة ١٩٤٨.

طبعًا هذا الكتاب فيهِ عدة مؤلفين ليس مؤلفًا واحدًا، منهم: الشيخ راشد بن خنين -رحمه الله-، والشيخ صالح بن سليمان بن سحمان، الشيخ سليمان بن سحمان معروف هذا ابنهُ صالح، وكذلك الشيخ صالح بن حسين العلي العراقي، الشيخ عبد العزيز بن باز شاركهم في هذا الكتاب، وراجع ما فيهِ من كلام، والكتاب فيهِ ما بين منثورٍ ومنظوم، فيه قصائد في الرد على القصيمي، والشيخ عبد العزيز -رحمه الله تعالى- راجع كتابهم هذا وقررهُ لهم، هذا أوَلًا.

☆ **ثانيًا**: الشيخ ابن باز –رحمه الله– لهُ رسالة بعنوان [نقد القومية العربية]، كما قلت قبل قليل أنَّ إحدى مظاهر المد الاشتراكي اَلَّذِي اجتاح العالم العربي في منتصف القرن العشرين ظهر ما يُسمَّى بـ **"القومية العربية"** اَلَّتِي انتشرت في مصر، وانتشر منها هذا الأمر إلى بلادنا هذه، الكويت كانت في الخمسينات ولعلكم سمعتم أو بلغكم شيءٌ من ذلك كانت تخرج هناك مظاهرات في الكويت تأييدًا لعبد الناصر وما يحملهُ من فكر ناصري، قومي، عربي.

وهذا الأمر ليس مقتصرًا فقط على الكويت، بل في الخليج حتى في المملكة العربية السعودية فانتشر عندهم هذا المد اَلَّذِي يُسمَّى المد القومي أو المد الناصري، وهذا المد فيهِ أفكار منحرفة كثيرة.

الشيخ ابن باز –رحمه الله تعالى– ألف كتابًا كاملًا سماه [نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع]، وهو كتاب مطبوع موجود إلى الآن، وموجود حتى في النت مَنْ أراد أنْ يطلِع عليهِ فهو متاح موجود في النت، قال فيهِ: (**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ...**

فلا يشك مسلم لهُ أدنى بصيرة بالتاريخ الإسلامي في فضل العرب والمسلمين وما قاموا بهِ).

فأراد أنْ يبين أنني لما أرد على أفكار القومية العربية لا يعني أنني أطعن في العروبة، وأنهُ لاشك في فضل العرب ونحو ذلك، ثم بيَّن بعد ذلك أنَّ الفضل هو للإسلام وللدِّين وليس لمجرد العروبة، ورد على الشبهات اَلَّتِي أثارها هؤلاء العروبيون في زمانهم أو القوميون، أو ما يُسمَّى **بالقومية العربية أو الناصرية.**

كذلك الشيخ –رحمه الله– سأقرأ فتوى للشيخ تدلّ هذه الفتوى على سعة اطلاعهِ على الأفكار المعاصرة، لاحظوا السؤال سؤال وجه للشيخ ابن باز –رحمه الله– وموجود في موقعهِ الرسمي.

۞ يقول السائل: ما هو الفرق بين الشيوعية والماسونية؟

سؤال لا يستطيع أنْ يجب عليهِ إلا مَنْ عندهُ اطلاع وإدراك دقيق في هذه الأفكار المنحرفة، كهذا السؤال لو نسألهُ الآن بعض طلبة العلم المعاصرين بعد انتشار الكتب وسعة المؤلفات في هذه الأمور، والمقاطع واليوتيوب قد لا يستطيعون الإجابة عليهِ، الشيخ ابن باز -رحمه الله- أنا لا أدري ليس مؤرخ الفتوى لكن أجزم أنها قديمة.

يقول الشيخ -رحمه الله-: (**الشيوعية لهم شأن والماسونية لهم شأنٌ آخر، الشيوعية معروفٌ أمرهم يتظاهرون بأنهُ لا دِّين ولا رب ولا إله ولا جنة ولا نار ولا غير ذلك، وأن المال مشاعٌ بين الناس والنساء مشاعةٌ بين الناس، أما الماسونية فيما ذكروا فإنهم يتظاهرون بالإخاء والمساواة، وأنه ينبغي أن يكون الإنسانُ كالإنسانِ في الإخاء، والتسوية، فلا دين، ولا شريعة، ولا غير ذلك، ولكن إخوةٌ إنسانية، هذه الماسونية فيما ذكر، وفيما كُتِب عنها**).

ما معنى ذلك؟

معناه أنَّ الشيخ قرأ حتى عن هذه الأفكار المنحرفة الماسونية.

(**يتظاهرون بالإخاء، والمساواة، والمعنى إنكار الأديان، وإنكار كل شيء، وأنْ يكون الإنسان مع الإنسان بلا دين، ولا اتباع شريعة، ولا إيمانٍ برب، وهم يتلاقون مع الشيوعيين**).

ذكر لك الفروق فيما بينهم والاتفاق فيما بينهم.

(**وهم يتلاقون مع الشيوعيين في إنكار الآخرة، وإنكار الأنبياء، وإنْ كان خالفهم الشيوعيون في طلب السيطرة، والفضل بين الناس، وظلم الناس، والاستبداد بالأموال، وإشاعة الفحشاء بين الناس، هؤلاء يميلون إلى السيطرة، والحكم، وظلم الناس**) إلى آخر الفتوى.

➢ **المقصود -يا إخوان-:** أنَّ الشيخ -رحمه الله- يُسأل مثل هذا السؤال ويجيب مثل هذا الجواب، اَلَّذِي إنْ دلَّ على شيء فإنما يدلّ على سعة اطلاع الشيخ، وأنَّ العالم يجب أنْ يكون ابن عصرهِ، مطلعًا على أفكار عصرهِ، حتى يستطيع أنْ يهدي النَّاس، وأنْ يكون سببًا في هدايتهم، وحتى يحذر النَّاس من الأفكار المنحرفة، إلى آخر ما ورَد عن الشيخ -رحمه الله- في هذا الأمر.

الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-

◆ نختم ولا أريد أن أطيل أكثر من ذلك: بالشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-:

الشيخ كذلك محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى- لا يخفى اسمٌ قد طبق الأرض شهرةً في شرق الأرض وغربها، ولا يخلو بلد اليوم لا مسلم ولا كافر من علم الشيخ، أو كتابٍ من كتبه، أو درسًا من دروسهِ، واشتهر الشيخ -رحمه الله- بفقهه وفتاواه وطلابهِ، كذلك الشيخ -رحمه الله- كان لهُ حظٌ ونصيبٌ وجهد في مواجهة الأفكار المنحرفة، فلهُ فتاوى كثيرة في الرد على أفكار الإلحاد موجودة، ما لا داعي أنْ نطيل في سردها وذكرها موجودة ابحث عن بعض الشبهات الإلحادية واكتب اسم الشيخ ابن عثيمين يظهر لك فتاواه.

ولهُ كذلك في الرد على الأفكار المنحرفة في عصرهِ لهُ مؤلفات كذلك، منها: كتاب اسمهُ [الأدلة على بطلان الاشتراكية] تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-، وكما قلت **الاشتراكية** هو الفكر السائد اَلَّذِي كان في ذلك الوقت، فالاشتراكية من ١٩١٧ إلى سقوط الاتحاد السوفيتي سنة ٨٩، ٩٠، كان هو المهيمن تقريبًا على العالم.

◆ كان هناك معسكران في العالم:

١- المعسكر الاشتراكي.

٢- المعسكر الرأسمالي الأمريكي.

وكانت السيطرة في الأغلب في الشرق الأوسط المعسكر الاشتراكي، حتى سقط الاتحاد السوفيتي فسقط معه نجم الاشتراكية وصعد نجم الرأسمالية إلى هذا اليوم.

الشيخ -رحمه الله- لم يكن غافلًا عن هذه الأفكار، رغم أنَّ الشيخ كذلك مثل شيخِهِ الشيخ السعدي لم يسافر خارج المملكة إلَّا للعلاج في أمريكا قبل وفاته -رحمه الله-، ولم يخرج من بلدهِ قبل ذلك، ولكن لهُ كتاب اسمهُ [الأدلة على بطلان الاشتراكية] وقد نشر في مؤسسة الشيخ، هذا الكتاب في الرد على الأفكار الموجودة في عصرهِ نقرأ مقدمة الشيخ، طبعًا الكتاب ألفهُ سنة ١٣٨١، أي أوائل الستينات ميلادي.

يقول الشيخ: (**الحمد لله الحكيم في قدره وشرعه الواحد الأحد الفرد الصمد، اَلَّذِي لم يلد ولم يولد**) إلى آخر المقدمة، إلى أنْ قال: (**أما بعد، فإن الله ابتلى المسلمين في هذا العام ١٣٨١ بظهورِ قانونٍ ظالمٍ جائر خارجٍ عن أحكام الله وحكمه مبنيٍ على ظلم العباد وإلقاء العداوة بينهم، وظهور البطالة في صفوفهم، والقضاء على مواهبهم الكسبية والعاطفية والعقلية، وذلك النظام هو ما يسمونه بالاشتراكية**)، ثم بدأ بنقد هذه الاشتراكية وبطلانها إلى آخر هذه الرسالة.

هذا -يا إخوان- نماذج لجهود بعض علمائنا، وإلا فإنَّ غيرهم من العلماء كثر بفضل الله عَزَّوَجَلَّ في هذا العصر الذين تصدوا لهذه الأفكار المنحرفة.

★ القصد من ذلك:

❁ **أوَلًا**: إظهار هذه الجهود اَلَّتِي قد يغفل عنها بعض النَّاس، ويظنون أنَّ هؤلاء العلماء هم غائبون عن الواقع، كما يُراد أنْ يُصوَر، بعض النَّاس يصور هؤلاء العلماء الكبار أنهم علماء لا يفقهون الواقع، وهذا كذب، بل هم أعلم النَّاس بالواقع، وكلامهم وفتاواهم تدلُّ على ذلك، فبعض النَّاس يريد أنْ يطعن في هؤلاء العلماء ويريد أنْ يصد الشباب عنهم، حتى يكون هو اَلَّذِي يتلقى عنهُ الشباب العلم، فيقول: إنَّ هؤلاء العلماء لا يفقهون الواقع، ولم يردوا على ...

نقول: هذا كذب، بل لهم جهود ولهم اطلاع كبير جدًّا على الواقع في هذا العصر في الأفكار المنتشرة في زمانهم، بل ليس لهم فقط مجرد اطلاع، بل لكان لهم تأثير في الواقع، الشيخ ابن باز -رحمه الله- كان يراسل الملوك والرؤساء، ويناصح يرسل الرسائل لمناصحة الرؤساء والملوك.

فهذا الأمر اَلَّذِي يُراد أنْ يُروَج للعلماء يجب أنْ نعلم أنهُ كلامٌ باطل، بل هؤلاء العلماء أعلم النَّاسِ بالواقع هذا أوَلًا.

❁ **ثانيًا**: فيهِ حثٌ لطلبة العلم الذين يريدون أنْ يكونوا من ورثة الأنبياء أنْ يأتسوا بهؤلاء العلماء، وأن يقتدوا بهم، ولا أقول أنهُ يجب على طالب العلم أنْ يكون موسوعيًا بمعنى أنهُ يعرف كل شيء لا، لكن على الأقل حتى يستطيع أنْ يكون مصلحًا في مجتمعهِ يجب أنْ يكون مطلعًا على الأقل ولو اطلاعًا يسيرًا على الأفكار الموجودة؛ حتى إذا ما طُرِحَت لا يشعر النَّاس أنهُ منفصل عن الواقع.

وقد سمعت كثير من الشباب يقول: أنا أذهب أسأل بعض المشايخ أسئلة لا يفهم أصلًا السؤال، فكيف تريدوني أنْ أءخذ منهُ الجواب، أسألهُ عن وقائع معاصرة لا يعرفها أصلًا، المصطلح أول مرة يسمع فيهِ، بعض المصطلحات المعاصرة يقول ما سمع عنها، فيقول: كيف أثق برأيه إذا هو ما سمع عنها، ولا شك أنَّ الحكم على الشيء فرعٌ عن تصورهِ.

فهنا دعوة للعلماء والمشايخ والدعاة وطلبة العلم على الأقل أبرز الأفكار، مثلًا على سبيل المثال: إذا كنت إمام مسجدٍ أو طالب علمٍ أو معلمًا وسألك طالب: يا شيخ، ما رأيك بالداروينية؟ وهل فيها ما يخالف الإسلام؟ كيف ستجيب عن هذا السؤال؟! مثال طالب علم إمام مسجد الداروينية الآن أصبحت منتشرة وتُدرَس، والشباب الصغار أبناء عشر واثنا عشر سنة يسمعوا فيها، ويدخلون إلى اليوتيوب ويرون مقاطع تروج لها، هل طالب العلم المعاصر لديهِ القدرة أنْ يتكلَّم خمس دقائق في نقد الداروينية؟ ما أريد أقول محاضرة، هل إذا تكلَّم سيتكلم بكلام دقيق؟

لأنَّ كثير من الشباب يقول: أنا ناقشت بعض المشايخ لا يفهم الداروينية أصلًا، وهذا مع الأسف واقع عند بعض طلبة العلم، اَلَّذِي أريد أنْ أقولهُ: نجب أنْ نكون على قدر هذا الواقع؛ حتى نستطيع أنْ ننقده، إذا أردنا أنْ نجابه ونواجه الأفكار المنحرفة ما يصير نكون جاهلين فيها، إذا كنت تريد أن تكون على نهج الأنبياء في الدفاع عن الدِّين ونصرة الدين، فليس المطلوب أنْ تكون موسوعيًا ولكن على الأقل ليكن عندك اطلاعٌ ولو يسير حتى تستطيع أنْ ترد على هذه، الداروينية مثال، هناك أفكار أخرى كثيرة.

◆ **مثلًا**: لو قيل لك: ما المشكلة في الهيومانزم، الأنسنة، هل الإسلام مع الأنسنة أو ضدها، كيف سترد عليه؟ هل عندك اطلاع على معنى الأنسنة والدِّين الإنساني الجديد أم ليس عندك اطلاع؟ وإذا كان عندك اطلاع هل عندك الرد عليهِ؟ لأن الشاب إذا لو يجد الجواب عند الشيخ والعالم المفروض أين يجده، إذا ما سأل الشيخ سأل إمام المسجد أو طالب علم أو كذا عن هذه الأسئلة ولم يجد جوابًا، ثم نشكو بعد ذلك أنَّ هذا الشاب انحرف وذهب بحث عن شخص هنا أو هناك أو دخل في الإنترنت، وهو وحظه لَمَنْ سيظهر له في الإنترنت، وبعد ذلك نشكو من انحراف الشباب.

فلذلك -يا إخوان- هناك مسؤولية على الدعاة والعلماء وطلبة العلم أنْ يكونوا محتوين لهذا الواقع، وعلى الأقل ما في مشكلة أنْ يكون هناك من طلبة العلم مَنْ ينتهض لمثل هذه الأفكار، حيث يكون يتعاون ويتكامل طلبة العلم والمشايخ في ذلك، بحيث يكون الإنسان عنده إذا مثلًا أتاه سؤال في هذه يقول والله أسأل فلان -مثلًا على سبيل المثال-.

فهذا الأمر -يا إخوان- أدرت أنْ أبينهُ وأوضح أنَّ علماءنا ومشايخنا ليسوا بمنفصلين عن الواقع، وأنَّ لهم جهودًا مباركة في الرد على الأفكار المختلفة، وأننا ينبغي أنْ نكون سائرين على دربهم، مقتفين لآثارهم.

فَتَشَبّهوا إِن لَم تَكُونوا مِثلَهُم إِنَّ التَّشَبّه بِالكِرامِ فَلاحُ

وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنْ يمن علينا وعليكم بالهدى والنور والصراط المستقيم، إنهُ ولي ذلك والقادر عليهِ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وجزاكم الله خيرًا.

❁❁❁